قصة قصيرة
فرق ثواني
مها سيد عبد الرحمن

الجزء الأول

بخطواتٍ غير متزنة ونظراتٍ شاردة وعيونٍ دامعة وقلب يحترق ألماً، سارت وسط الطريق لا تكترث لأمر المارة الذين اصطدمت بهم مراراً، بل أنها لم تسمع تعليقاتهم الساخطة ولا انتبهت لنظراتهم التي تقطر حنقاً، تحتل عقلها تلك الكلمات التي اخترقت مسامعها صباح اليوم للمرة الأولى منذ زواجهما قبل ستة عشر سنة، لم تكن كلمات بل كانت سهام حادة اخترقت قلبها بلا رحمة:

-" لم أعد أطيق العيش معكِ يا نور! سأطلقك وآخذ منكِ الأولاد! عليكِ التفكير فوراً في المكان الذي ستعيشين فيه وحدك، لم يعد هذا من شأني منذ الآن!!"

عجز عقلها عن استيعاب ما حدث حتى اللحظة! كانت مشاجرة عادية تكررت مئات المرات من قبل فما الذي تغير هذه المرة؟ تلك القسوة التي لم تصادفها مع كريم من قبل! أم كانت موجودة بالفعل وهي التي لم تلحظها أو تجاهلها عقلها خوفاً من تصديقها؟ أم كان مجرد تهديد وقت غضب؟! لا لم يكن كذلك بل كان قراراً جاداً للغاية!

انهمرت دموعها الحارة على وجنتيها ولم تنتبه مطلقاً لتلك السيارة المسرعة التي تتجه نحوها والتي اخترق صوت "الكلاكس" الخاص بها آذان جميع المارة في الطريق ما عدا هي، لمحت البعض يشيرون إليها لتبتعد وصيحاتهم تتعالى، لكنها أدركت ما يحدث بعد فوات الأوان فقد كانت السيارة على مسافة يستحيل تفاديها بالرغم من المكابح التي ضغطها السائق بكل قوته والتي لم تفلح نهائياً في تهدئة سرعتها فكان الاصطدام قوياً وبشعاً للغاية!!!

****

على باب العناية الفائقة حالة من الهرج والمرج، أطباء يدخلون مسرعين، وممرضات تخرجن راكضات لتعُدن بعد قليل وفي أيديهن بعض الأغراض. وقف كريم في ذهول يتابع ما يجري ولا يجرؤ على السؤال عما وصلت إليه حالتها وفي قرارة نفسه يعلم يقيناً أنه السبب الحقيقي وراء ما حدث لها، ساعات من التوتر قضاها بجوار باب العناية الفائقة يراقب ما يحدث في صمت، حتى خرج إليه أحد الأطباء وربت على كتفه مبتسماً وهو يقول:

-"الحمد لله، وضعها مستقر، نجت بمعجزه حقيقية، بعض الإصابات ستأخذ وقتها وتشفى، اطمئن ستعود إلى منزلها قريباً بإذن الله"

لم يعلم حينها كريم هل يفرح أم يحزن لتلك العبارة الأخيرة، لم تكن مشاعره واضحة تجاهها في تلك اللحظة رغم شعوره بالذنب جراء ما حدث، لكنه اتخذ قراره بتأجيل كل ما يفكر فيه حتى تشفى تماماً.

****

بعد نحو أسبوعين

عادت نور إلى منزلها على كرسي متحرك تعاني من كسر مضاعف في ساقها اليمنى، وآثار بعض الكدمات على وجهها، وسط فرحة عارمة من بنتيها: تالا ودارين، ووجوم من زوجها كريم الذي يفعل كل ما بوسعه لمساعدتها لكن دون أن ينظر إليها أو أن يتحدث معها، كان يؤلمها ذلك أكثر من تلك الإصابات المنتشرة في جسدها.

استلقت على سريرها وهي غارقة في تفكير عميق، تحدث نفسها:

-"لماذا عُدتي؟ لماذا لازلت متشبثةً بهذه الحياة؟! كانت فرصة ذهبية للرحيل بلا ألم!"

سالت الدموع على خديها في حزن عميق، ثم فاجأتها تالا ابنتها الصغرى ذات الثلاث عشرة عاماً بالدخول فمسحت دموعها مسرعةً وهي تتظاهر أن شيئاً ما قد دخل في عينيها، ثم ما لبثت أن اختفت تالا من أمامها، ارتفع حاجبيها في دهشة وظلت تحدق في الباب لثواني قبل أن تشهق في ذهول حين دخلت تالا أمامها بنفس الطريقة التي دخلت بها منذ ثواني وكأن المشهد يُعاد ثانيةً، لم تسمع حرفاً مما قالته ابنتها وهي تعجز عن فهم ما حدث، أنهت تالا حديثها ثم غادرت الغرفة في عصبية حينما لم تتلقَّ أي رد من والدتها، انتزع نور من شرودها صوت رنين هاتفها المحمول، كان اتصال من أختها الكبرى وكل ما تبقى من عائلتها سمية والتي رغم كونها تعيش في بلدةٍ أخرى إلا أن اتصالها بنور لم ينقطع يوماً وشعورها بالمسئولية تجاهها لم ينقص ولو بقدرٍ ضئيل مهما تقدمت في العمر، هرعت نور تجيبها وتحكي لها كل ما حدث قبل الحادث وحتى اللحظة الراهنة فهي لم يتسنَّ لها الوقت لتحكي

لها ما حدث مع كريم صباح يوم الحادث وقد أفقدتها الصدمة قدرتها على التفكير، أنساها انهماكها في الحديث مع سمية تماماً ما حدث قبل قليل، ثم أنهت المكالمة وقررت النهوض من السرير، قاومت ألمها حتى اعتدلت جالسةً على كرسيها المتحرك الذي تركه كريم ملاصقاً لسريرها لتتمكن من استخدامه في أي وقتٍ تشاء، خرجت من الغرفة متجهةً نحو المطبخ، كان كريم ودارين ابنتها الكبرى ذات الخمسة عشر ربيعاً يُعدَّان وجبةً سريعة للغداء، فاجأهما وجودها فسارعت دارين بالقول:

-"ماما لماذا غادرتي فراشك؟! لا تقلقي فأنا وأبي نُعدّ الطعام منذ أسبوعين أصبحنا قادرين على إعداد الكثير من الأصناف، ستُتفاجئين بمهارتنا!"

لم تعلم دارين وقع تلك العبارة التي قالتها بحماسٍ شديد على قلب والدتها التي شعرت بوخزٍ في قلبها وقد أيقنت أن كريم قد استغل الوضع ليعوّد البنتين على عدم وجودها، ابتسمت ابتسامة صفراء وهي ترمق كريم -الذي يتظاهر بالانشغال حتى لا ينظر إليها- بنظرةٍ مشتعلة يتطاير الشرر منها، رن هاتفه الذي كان على المائدة المجاورة لباب المطبخ حيث تستقر جالسةً فوق كرسيها المتحرك، ظهر الارتباك جلياً على ملامحه فتحرك نحو الهاتف مسرعاً وأخذه مغادراً المطبخ، لكنه اختفى فجأةً من أمام عينيها قبل أن تراه لايزال واقفاً في مكانه مرت ثوانٍ وهي تحدق فيه على نحوٍ لافت قبل أن تلتفت نحو الهاتف المجاور لها على المائدة والذي لم تلحظ وجوده مسبقاً حين دخولها، وإذا به يرن!

رأت الاسم بوضوح "ليلى"، تكرر المشهد أمامها ثانيةً، امتقع وجه كريم وظهر عليه ارتباكٌ واضح ثم أخذ الهاتف وغادر المطبخ.

نفضت رأسها بقوة وشعرت برعشة باردة تسري في جسدها، توجهت مسرعةً نحو غرفتها وأغلقت الباب، وهي تجاهد لتسيطر على أنفاسها المتلاحقة وضربات قلبها المتزايدة، بذلت مجهوداً ليس بالبسيط لتستلقي على سريرها مجدداً، ثم ما لبثت أن دَثَّرت نفسها ببطانيتها، حتى أنها غطت وجهها وأغمضت عينيها وكأنها تهرب من شيء يلاحقها، وجسدها يرتجف على نحوٍ مزعج، ظلت على تلك الحالة بعض الوقت حتى بدأت تهدأ قليلاً، ثم جعلت تفكر فيما حدث بصوت خافت:

-"ما الذي يحدث لي؟ كيف يعقل أن أرى الأشياء قبل أن تحدث؟ ولماذا الآن؟ ومن هي ليلى؟!"

انطلقت من حلقها شهقة مكتومة حينما وصلت إلى ذلك السؤال تحديداً، ثمّ رفعت أحد حاجبيها في تحفُّز هامسةً:

-"لابد أنها السبب وراء تغير كريم معي! غبية!! كيف لم ألاحظ من قبل؟! منذ متى وأنا أغطُّ في سباتٍ عميق لا أعلم ما الذي يجري حولي"

انتفض جسدها في قوة عندما فُتِح باب الغرفة ودخل أحدهم، تظاهرت بالنوم فلم تكن تقوى على الحديث مع أي أحد في تلك اللحظة، سمعت صوت باب الدولاب يُفتح فأيقنت أنه حتماً كريم، حاولت استراق النظر من تحت البطانية فرأته يضع شيئاً بداخل الخزنة الصغيرة، غطت وجهها بسرعة حتى لا يراها، دقائق معدودة ثم أغلق الدولاب وغادر الغرفة، فكرت في النهوض لترى بنفسها ما وضعه في الخزنة، لم تكد تمسك بذراع كرسيها المتحرك حتى فُتِح باب الغرفة وكريم يرمقها بنظرةٍ نارية وكأنه كشف مخططها الذي لم تنفذه بعد، تجمدت الدماء في عروقها وقبل أن تفتح فمها لتختلق أي حكاية تفسر بها قيامها فور مغادرته الغرفة اختفى من أمامها، تغلبت على دهشتها بصعوبة وقد أدركت أنه لم يُفتح بعد لكنه حتماً سيُفتح بعد قليل، فسارعت بالاستلقاء وتغطية وجهها بالبطانية تماماً كما كانت قبل مغادرته، لم تمر ثواني حتى فُتح الباب بالفعل، ظلت ساكنةً في مكانها بلا حراك، وصورته وهو يحدق فيها بتلك النظرة النارية تتراقص في مخيلتها لتزيد من توترها، تأكد كريم من حقيقة نومها ثم أغلق الباب وانصرف.

تنفست الصعداء وهي تشعر بالامتنان لتلك الحالة الغريبة التي انقذتها من موقف قد ينتهي بمجادلة هي غير مستعدة لها مطلقاً الآن، سمعت تالا تنادي على والدها ليحضر لها ما طلبته منه عند عودته، فأدركت أنه سيغادر المنزل، ثم ما لبثت أن سمعت صوت الباب يغلق، اعتدلت مسرعةً ثم جلست على كرسيها المتحرك واقتربت من الدولاب، شرعت بفتح الخزنة الصغيرة، لكنها فوجئت بأنه قد غير أرقامها التي تحفظها جيداً منذ سنوات، صاحت في غضب:

-" عاد ليتأكد أنني لم أر أرقامها الجديدة وهو يفتحها، ولم أشاهد ما وضعه فيها!!"

شعرت بضيقٍ بالغ، فاستسلمت لدموعها ودخلت في وصلة بكاءٍ حار لم يغير شيئاً في تلك النار التي تشتعل بداخلها، وهي تشعر أنها تعيش مع شخصٍ آخر لا تعرفه، يعجز عقلها عن تَقَبُّلِ ما يحدث بينهما.

قررت الاتصال بسُمية وإخبارها بسرها الصغير الذي لم تعد قادرةً على كتمانه أكثر من ذلك، أفرغت كل ما في جعبتها على مسامعها لعلها ترتاح قليلاً من ذلك الحِمل الذي يرزح على قلبها، سمعتها سمية بإنصاتٍ تام حتى أنهت حديثها، ثم قالت بنبرتها الهادئة المعهودة:

-" قبل أي شيء يجب أن تري الجانب المُضيء في كل ما حدث معكِ، ذلك الحادث كان فرصة ثانية أهداها لكِ القدر لتُصلِحي الوضع مع كريم عليكِ استغلالها بالدرجة القصوى، وتلك الحالة الغريبة التي من الواضح أن الحادث هو السبب الرئيسي في وجودها والتي ليس لدي أي تفسيرٍ منطقي لحدوثها هي مِنحةٌ أخرى لتساعدك بشكلٍ ما لست قادرةً على تحديده الآن، لكن ما أعرفه جيداً هو أن عليكِ الاستفادة منها قدر المستطاع، فاهدئي وابتهجي ولنفكر سويةً في خُطةٍ محكمة لاستغلال تلك الحالة في كشف ما يخفيه كريم!"

الجزء الثاني

في صباح اليوم التالي استيقظ الجميع ليفاجئوا بنور تعد طعام الإفطار وهي تبدو أكثر راحةٍ بكثير من اليوم السابق، رغم أنها لم تنل سوى قسطٌ بسيط من النوم بسبب استغراقها بالتفكير في الحوار الذي دار بينها وبين سمية بالأمس، فقد أعاد لها حديثها معها جزء كبير من الاتزان كما أحيا الأمل في أعماقها لعودة الأمور إلى نصابها مع زوجها كريم، لا تعلم كيف تشعر بتلك الثقة في ظروفٍ كهذه لكنها تحس بتغيير عميق طرأ على نفسها فثقتها في رجاحة عقل سمية ليس لها حدود.

رمقت كريم بنظرة تحدٍ أربكته رغم محاولته الحياد بنظره بعيداً عنها، لكنها لم تعطيه الفرصة لذلك حيث باغتته بالسؤال:

-" ستشاركنا الإفطار أم أنك على عجلةٍ من أمرك؟!"

فاجأه سؤالها كثيراً فقد كان يتوقع أنها لن تتحدث معه مطلقاً بعد كل ما حدث وهذا هو المعتاد منها في مثل تلك المواقف، رد باقتضاب:

-" لا أنا مستعجل!"

ابتسمت في ظفر وقد نجحت في إجباره على النظر إليها والحديث معها، همست محدثةً نفسها:

-"أنتِ داهية يا سمية"

سارعت بإنهاء تحضير الفطور للبنتين، ثم اتجهت نحو غرفتها وجلست على سريرها في ترقب وهي على يقين أن كريم حتماً سيمر على الغرفة قبل خروجه من المنزل مباشرةً كعادته، ليأخذ أغراضه الخاصةِ بالعمل والتي يحرص دوماً على وضعها بعناية في الدرج الكبير للخزانة المجاورة للجهة الخاصة به من السرير، وإن حالفها الحظ فقد يضطر لفتح الخزنة التي بداخل الدولاب أثناء وجودها بالغرفة، وهو الحدث الأهم الذي تنتظر حدوثه بفارغ الصبر، مرت دقائق وهي جالسة على سريرها وعيناها مثبتتان على باب الغرفة، في انتظار تنفيذ الجزء التالي من خطة سمية وهي إيجاد وسيلة لتفرق بين إن كان ما تراه حقيقةً أم هو النسخة السابقة لحدوثه، فُتِح الباب بالفعل ودخل كريم على عجلة باتجاه الدولاب، دققت التركيز في وجهه جيداً فاتسعت عيناها حينما لاحظت اهتزاز طفيف في صورته، تهللت

أساريرها وراهنت نفسها على أنه سيتلاشى من أمامها خلال ثوان، وبالفعل ما أن وصل إلى الدولاب حتى تلاشت صورته، أيقنت أنه سيدخل الغرفة خلال الثواني التالية ليفتح الدولاب ومن ثمَّ الخزنة، استلقت على السرير بسرعة، ثم أمسكت بهاتفها المحمول وجعلت الكاميرا على وضع الاستعداد ومن ثمَّ تظاهرت بالانشغال في تصفح مواقع التواصل الخاصة بها، دخل كريم متجهاً نحو الدولاب ثم توقف لثواني ورمقها بنظرةٍ خاطفة بطرف عينه ليتأكد من انشغالها، تظاهرت هي بعدم ملاحظتها، ثم وقف أمام الخزنة بشكل يمنعها من رؤية يده أثناء فتحها، شغلت الكاميرا بسرعة وقربت الصورة إلى الحد الأقصى وحاولت تثبيت يدها التي كانت ترتجف من فرط التوتر حتى ينتهي، أخرج شيئاً ووضعه في جيبه ثم أغلقها مسرعاً وسارع بأخذ حقيبته من الخزانة الصغيرة ثم غادر الغرفة دون أن يحاول النظر إلى نور ثانيةً.

ما أن غادر الغرفة حتى اعتدلت نور في جلستها ثم أعادت تشغيل الفيديو عدة مرات، لكنها ضربت سريرها بقبضة يدها في غيظ حينما فشلت كلياً في رؤية أي من الأرقام التي أدخلها ليفتحها!

اتصلت بسمية وما أن أجابت الاتصال حتى انفجرت نور في غضب تحكي لها ما حدث، أخذت سمية نفساً عميقاً ثم قالت بنبرةٍ هادئة:

-"اهدئي قليلاً يا نور لا زلنا في البداية والأمور تحتاج لكثيرٍ من الصبر والتروي حتى نصل إلى النتيجة المرجوة، أرسلي لي الفيديو الآن سأشاهده ثم أتصل بك!"

أنهت نور المكالمة وأرسلت الفيديو لسمية ثم جلست تنتظر اتصالها بفارغ الصبر، لم تمضِ دقائق معدودة حتى عاودت سمية الاتصال بها، أجابتها نور في لهفة:

-"ها هل عرفتي الرقم؟!"

ابتسمت سمية ضاحكةً وهي تجيبها:

-" عليكِ معالجة تسرعك هذا يا نور! قليل من الصبر يصنع فارق كبير! بالطبع لا! لم أستطع رؤية أي من الأرقام لكني رأيت الأهم!"

اتسعت عينا نور في حماس في انتظار كلماتها التالية، فأردفت سمية:

-"كنتي تريدين معرفة الأرقام لتفتحي الخزنة وترين ما وضعه فيها بالأمس، وهو أخرجه منها ووضعه في جيبه، ويظهر واضحاً جلياً في الثانية السابعة والأربعون تماماً من الفيديو"

لم تنتظر نور حتى تنهي سمية حديثها وسارعت بتشغيل الفيديو ثم أوقفته عند الثانية السابعة والأربعون كما أخبرتها، ظلت صامتة في وجوم تعيد التدقيق في تلك العلبة المميزة من "الأرابيسك" المرصع بالأصداف المختلفة والتي تعرف مصدرها جيداً، صاحت وهي تعض على شفتها السفلى في غيظ:

-" ليحيى صلةٌ بالأمر إذن!"
قاطعتها سمية في حيرة:

-"يحيى ابن عم كريم؟!"

استطردت نور حديثها في انفعال:

-"نعم هو! لقد افتتح بازار في منطقة "خان الخليلي" الشهر الماضي ورأيت فيه الكثير من تلك العلب يوم الافتتاح!"

صمتت سميه تفكر لثواني ثم قالت في هدوء:

-" احتمالٌ كبير وهو الأرجح بلا شك، لكننا لا يجب أن نُغفل احتمال كونه اشتراها من أي مكانٍ آخر"

صاحت نور في غيظ:

-"لو كنتُ قادرة على المشي لذهبت إلى هناك لأكتشف الأمر بنفسي"

ابتسمت سمية قائلةً:

-"يمكننا القيام بتجربة بسيطة قد تكشف لنا عن جديد!"

****

-"ألو! مرحباً أستاذ يحيى، أريد أن أطلب منك طلب إذا سمحت، كنت قد رأيت عندك تشكيلة من علب الأرابيسك يوم الافتتاح أعجبتني كثيراً، أريد أن أشتري

واحدة منها هدية لصديقةٍ عزيزةٍ عليّ، لكن تعلم بعد الحادث لا أستطيع القدوم إلى المحل بنفسي"

قاطعها يحيى في أسف:

-" حمداً لله على سلامتك، يبدو أن العلبة التي اختارها كريم لم تعجبك، لكن لا تشغلي بالك أبداً بالأمر سأجعل ليلى مساعدتي ترسل لك صوراً للتشكيلة الموجودة لدي كاملةً، اختاري منها ما تشائين وسأحضرها لك بنفسي إن شئتِ"

شعرت نور برعدة باردة في جسدها عند سماع اسم ليلى، وجلست في حنق تنتظر أن ترسل لها الصور على تطبيق الواتساب، بالطبع لم تكن الصور ما يشغلها مطلقاً ولكن كان رقم هاتفها هو ما تنتظره، بعد مرور نحو ربع الساعة، ارتج هاتفها برنات متتالية تعلن وصول نحو خمسين صورة، لكن الصورة الوحيدة التي لفتت نظرها هي الصورة المجاورة لرقم الهاتف، صورة تلك الفتاة التي ظلت نور تتأملها في غيظٍ شديد ونيرانٌ من الغضب تشتعل في أعماقها، كم تمنت لو كان بمقدورها مغادرة ذلك السرير والذهاب إلى هناك للنيل منها، كانت الفتاة جميلة بلا ريب تبدو في أواخر العشرينات من العمر!

سارعت نور بإرسال الرقم إلى سمية ثم اتصلت بها تحكي لها ما جرى في مكالمتها مع يحيى، عقبت سمية على حديثها بعد انتهائه قائلةً:

-"رائع يا نور، نتيجة لا بأس بها حتى الآن، الخطوة التالية هي أن نتأكد من أنها هي التي اتصلت بكريم اليوم، وحذاري أن تكشفي له أي شيءٍ عرفتيه حتى الآن، حاولي البحث عن حسابها على تطبيق الفيسبوك لتتأكدي إن كانوا أصدقاء أم لا"

برقت عينا نور مع تلك العبارة الأخيرة، ثم أنهت المكالمة سريعاً لتبدأ عملية البحث، كان الأمر أسرع مما توقعت فبمجرد أن بدأت البحث أظهر الفيسبوك الحساب أمامها في قائمة "أناس قد تكون تعرفهم" تلك القائمة التي تتجاهل النظر فيها دوماً، وبالطبع يوجد صديق مشترك هو كريم!!!

لو كان أحد بجوارها في الغرفة في تلك اللحظة لشم رائحة حريق بكل تأكيد، ثم لأطلق العنان لقدميه هرباً مع تلك التعبيرات المخيفة التي ظهرت على وجهها وكأنها قد بدأت تتحول إلى كائن آخر!

صرخةٌ عالية هزت أرجاء المنزل وأثارت الفزع في نفوس البنتين جعلتهما تنطلقا راكضتين نحو غرفة أمهما خوفاً أن يكون قد أصابها مكروه، فتحتا الباب بسرعة لتتلاقى عيناهما مع عيناها التي يتطاير الشرر منهما ويسود على ثلاثتهم صمت حذر تشوبه الدهشة، بصعوبة بالغة سيطرت نور على أعصابها وطمأنتهما بكلماتٍ غير مفهومة وهي تشير إليهما بمغادرة الغرفة في الحال، ثم أمسكت الهاتف لتتصل بسمية وقد بدأت تشعر بدوار شديد من فرط الانفعال، أخبرتها بما عثرت عليه، فجاءها ردها الهادئ المعتاد والذي لا يتناسب مطلقاً مع الحالة التي تعيشها نور في تلك اللحظة، وهي تقول:

-" بالطبع الأمر ليس طبيعياً، ويثير العديد من الشكوك، لكنه خطوة مهمة في فهم ما يجري، نووورو! أرجوكي تمالكي أعصابك عند عودة كريم لا تضيعي الفرصة بيديكِ لازال أمامنا الكثير لنعرفه ومن ثَمَّ لنفعله! فقط تحلي ببعض الصبر"

لم تكد سمية تنهي عبارتها حتى سمعت نور صوت باب المنزل يغلق، فأدركت أن كريم قد عاد، تعجبت كثيراً من عودته بتلك السرعة، أنهت المكالمة مع سمية وأسرعت بجذب العكاز الذي كان بجوار السرير محاولةً استبدال الكرسي المتحرك به لعله يكون أسهل في الحركة منه، اتكأت عليه وسارعت بمغادرة الغرفة لتراه يمر من أمامها مسرعاً وهو يتلفت حوله في طريقه إلى غرفة المعيشة ويدخلها أمامها ثم فتح الدرج السفلي لخزانة الكتب ووضع شيئاً ما قبل أن تتلاشى صورته من أمامها، تراجعت إلى غرفتها بقدر ما استطاعت من سرعة قبل أن يأتي ويراها، ثم أغلقت الباب ووقفت خلفه تحاول كتم أنفاسها المتلاحقة من فرط التوتر، وضعت أذنها على الباب فسمعت صوت أقدامه يدخل الغرفة رغم محاولته السير على أطراف أصابعه مستغلاً انشغال البنتين في غرفتهما ونور في غرفتها، لم يمكث في الغرفة طويلاً ثم غادرها وخرج من المنزل ثانيةً!

زادت دهشة نور من مغادرته المنزل، لكنها نفضت رأسها بقوة في محاولة لاستعادة تركيزها، ثم غادرت غرفتها إلى غرفة المعيشة تحديداً إلى الدرج السفلي من خزانة الكتب، فتحته مسرعة لتتسع عيناها عن آخرهما في ذهول!!!

*الأرابيسك:

فن "الأرابيسك" من الفنون الأصيلة التي تميزت بها الحضارة العربية الإسلامية، والتي تعود أصولها إلى أكثر من ألف عام، وهو في الأصل صناعة معمارية الطابع تدخل في الأثاث غالبًا، وهو عبارة عن رسومات هندسية معقدة ومتداخلة ومتقاطعة وتضفى ألوانها سحرًا خاصًا يميزه عن غيره من الفنون السائدة.

الجزء الثالث

وسط ظلامٍ دامس تركض في كل اتجاه بأنفاسٍ متقطعة بحثاً عن مخرج، ضوء خافت يظهر من بعيد يبعث الأمل لديها من جديد، فتركض نحوه بلا توقف يبدو بعيداً للغاية، لكنها تقترب منه في إصرار حتى وصلت إليه، ظهرت أمامها فجأةً خِزانة الكتب لتكتشف أن الضوء ينبعث من الدرج الأخير! فتحته بسرعة لتجد مفتاح من نور ما أن أمسكت به حتى تبدد الظلام من حولها وتغير المشهد تماماً! وجدت كريم وسط بركة من الطين يغرق وهو يستنجد بها وينادي عليها بأعلى صوته:

-"نور..نور!"

فتحت عينيها في فزع لتجد كريم يقف أمامها وهو ينادي عليها محاولاً إيقاظها، ظلت تحدق فيه في ذعر واضح مما أثار ارتباكه فقال متسائلاً:

-" هل كنتِ تحلمين بكابوس؟!"

ازدردت ريقها بصعوبة ثم أجابته في خفوت:

-"نعم كابوس فظيع! شكراً لأنك ايقظتني"

رد باقتضاب:

-"لا عليكِ" ثم انصرف مغادراً الغرفة وفي يده حقيبة تحوي كل أغراضه بعد أن جمعها لينقلها إلى الغرفة المجاورة والتي قرر البقاء فيها.

اعتدلت نور في جلستها وهي تتذكر ما حدث صباحاً حينما رأته يضع شيئاً في الدرج السفلي من خزانة الكتب، لتجد تلك العلبة من الأرابيسك ففتحتها في الحال! انتابها الذهول واعترتها الحيرة أمام مفاجأة غير متوقعة على الإطلاق، مفتاحٌ فضي ضخم عجيب الشكل للغاية، الجزء العلوي منه مرصع بياقوته حمراء صغيرة الحجم لكنها تلمع ببريق أخاذ، يبدو وكأنه قطعة أثرية ثمينة، وتحته ورقة صغيرة مكتوب فيها:

-"هدية زواجنا!"

امتقع وجهها حينما وقعت عيناها على تلك الكلمة وشعرت بغصةٍ في قلبها، ثم أعادت كل شيءٍ مكانه ورجعت إلى سريرها تجر قدميها جراً، ومن فرط الحيرة

الممزوجة بالحزن والخوف سقطت جفونها رغماً عنها لتضع حداً لتلك الحالة وتأخذها بعيداً لعلها تهنأ ببعض الراحة، لكن عقلها أبى أن يمنحها ذلك القسط من الراحة فنسج لها كابوساً زاد من توترها وأتلف ما تبقى من أعصابها.

نظرت في الساعة على هاتفها فوجدتها السابعة مساء، شهقت في فزع فهي لم تتوقع أن تكون قد نامت كل تلك المدة، غادرت سريرها متكئةً على العكاز في طريقها نحو المطبخ لتحضر طعام الغداء الذي تأخرت كثيراً في تحضيره، لكنها فوجئت ببعض أواني الطعام الفارغة وطبق على طاولة المطبخ ملفوف بورق القصدير، فهمت أنه لها وأنهم قد فرغوا من تناول الطعام، لم تكن تريد أن تأكل كانت فقط ترغب في الحديث مع كريم، فهي لم تعد تطيق الصبر على ما يحدث أكثر من ذلك، رغم صوت سمية الذي يتردد في أذنيها بألا تفعل!

ذهبت باتجاه غرفة المعيشة حيث كان جالساً برفقة البنتين، جلست على إحدى الكراسي الوثيرة المقابلة له بعدما ساعدتها تالا على الجلوس، وعيناها مثبتتان على وجه كريم المنهمك في النظر إلى هاتفه يكتب شيئاً وملامحه يكسوها الضيق، كانت تريد إخباره بأنها تود الحديث معه لكن الكلمات تجمدت على شفتيها مع ذلك المشهد الغريب الذي حدث فجأة!

بدا وكأن كل شيء حولها توقف عن الحركة ما عدا شفتي كريم اللتان كانتا تتحركان ببطء شديد وكلمةٌ واحده ترتسم عليهما في وضوح بلا صوت، فهمتها نور جيداً وقبل أن تعي ما فهمت عاد كل شيء لطبيعته وشاهدته يحرك شفتيه بسرعه دون أن ينطق بشيء لم تكن لتفهم ما قال لولا ما حدث قبل قليل.

سرت رعدة باردة في جسدها من فرط الخوف فقامت عائدةً إلى غرفتها، وسارعت بالاتصال بسمية لتخبرها عن أحداث ذلك اليوم الغامضة، وكالعادة أنصتت إليها بكل اهتمام حتى وصلت إلى الجزء الأخير والذي كانت نور تخبرها فيه عما حدث في غرفة المعيشة، فقالت بصوتٍ يكسوه الخوف:

-"قال "سأقتلها" لابد أنه كان يعنيني! يريد أن يتخلص مني ليتزوجها الأمر واضح كالشمس!"

ردت سمية في قلق:

-"هل أنت متأكدة يا نور أنه قال "سأقتلها" ليس "سأقتله" أو "سأقتلك"؟؟"

ارتبكت نور كثيراً قبل أن تجيب في تردد:

-" لست متأكدة لكنه على الأرجح قال "سأقتلها""

لم تشأ سمية أن تفصح لنور عن مدى القلق الذي انتابها في تلك اللحظة، الموقف غامض للغاية، ومفاجآت كريم كثيرة في الآونة الأخيرة وغير مفهومه ولا أحد يمكن أن يتوقع ما يفكر به، نور مريضة ولا تستطيع الحركة بسهوله قد يؤذيها إن عزم على ذلك!

طلبت سمية من نور أن تنهي المكالمة لانشغالها على أن تعاود الاتصال بها لاحقاً، لكن الحقيقة أنها لم تشعر بهذا القدر من الحيرة والقلق من قبل، حتى أنها باتت لا تعلم ماذا تقول لنور لتهدئ من روعها، كانت في حاجة لتفكير عميق حتى توصلت إلى حل!

****

بقيت نور في سريرها ترتجف من الخوف، لا تجرؤ على مغادرة غرفتها، تشعر بالضعف والوحدة رغم وجودها بين أفراد أسرتها، تفكر فيما طرأ على كريم وهي تحدث نفسها في لوم:

-" منذ متى وهو مخيف وغامض هكذا؟! لماذا لم ألاحظ كل هذا التغيير من قبل؟! أم أنه حدث ببطء على مدار سنوات دون أن أشعر؟! هل أصبح يكرهني إلى الحد الذي يجعله يفكر في قتلي؟!"

اغرورقت عيناها بالدموع حينما وصلت إلى النقطة الأخيرة، وشعرت بالشفقة على نفسها مما آل إليه حالها معه بعد كل تلك السنوات، ثم خطر ببالها أمر ذلك المفتاح العجيب ولماذا شيء كهذا قد يكون هدية زواج من الأساس؟؟!

أثارت تلك الفكرة تحديداً فضولها فخطر ببالها أن تقوم بتصوير المفتاح ومن ثم تقوم بالبحث عنه على صفحات الإنترنت لعلها تصل إلى شيء، لكن كيف وهم جالسون بجوار خزانة الكتب التي نادراً ما يقترب منها أحد، فقررت الانتظار حتى يناموا جميعاً لتبدأ بتنفيذ خطتها!

****

-"مصيبة!"

-"ماذا حدث؟!"

-"لقد اكتشف اختفاءه اليوم! ويبحث عنه في كل مكان، وهو يرمقني بنظرات الشك بين الحين والآخر"

-"تجاهلي الأمر تماماً حتى موعد مغادرتك، وسأحضره لكِ غداً صباحاً!"

****

الساعة الثانية عشرة والربع صباحاً

بعد أن تأكدت نور من نوم الجميع، تسللت في هدوء نحو خزانة الكتب ومعها هاتفها المحمول تضيء كشافه لترى به وسط الظلام حتى لا تضطر لإضاءة مصابيح الغرفة فيشعر بوجودها أحد، اقتربت منها ثم فتحت الدرج السفلي وأخرجت المفتاح من العلبة، التقطت له عدة صور بعدها أعادته في مكانه بأيدي مرتجفة من فرط التوتر ثم أغلقت الدرج، لكنها ما أن استدارت للخلف حتى تجمدت الدماء في عروقها وتراجعت للخلف خطوة كادت تفقدها توازنها حينما وقعت أنظارها على كريم يتقدم نحوها بملامح جامدة ووجهٍ عابس، فقدت القدرة على النطق او الحراك وقد شلَّ الخوف حركتها تماماً وأيقنت أنه كشف أمرها ولربما يقتلها في الحال، تابع سيره نحوها لكنه مرَّ بجوارها دون أن يلتفت إليها، أدركت أنه ليس هو بل هي صورته، لم تلاحظ ذلك من فرط التوتر، لكن هذا يعني أنه في طريقه إليها ولن يكفيها الوقت لتعود إلى غرفتها أو حتى أن تخرج من الغرفة!

وفي جزء من الثانية خطر ببالها أنه لن يضيء المصابيح لقد رأته يتجه مباشرة نحو الخزانة، فسارعت بالاختباء خلف باب الغرفة، وهي تضع يدها على فمها في محاولة لحبس أنفاسها المتلاحقة، كادت تسقط مغشيةً عليها حينما سمعت خطواته أمامها وهو يعبر باب الغرفة المظلمة متجهاً نحو الخزانة، لكن عيناها اتسعتا عن آخرهما في فزع وهي تراه يخرج هاتفه من جيبه ويضيء مصباحه، لو استدار وهو على تلك الحال سيراها لامحالة!

فتح الدرج ثم أخذ العلبة وهمَّ بالعودة، ونور يتصبب العرق على جبينها وهي تستعد لمواجهة لا تعلم كيف ستنتهي، ثم استدار بالفعل فأغمضت عينيها بقوة وأذناها ترهفان السمع لذلك الصراخ الذي سينهال عليهما الآن، لكن هاتفه رنَّ بصوتٍ مرتفع في تلك اللحظة، فارتبك كثيراً حتى أنه سقط من يده أرضاً، فانحنى مسرعاً لالتقاطه وهو منشغل في اغلاق الصوت، ثم أخذه وغادر الغرفة على عجلةٍ دون أن يلاحظ وجودها.

ظلت نور جامدةً في مكانها لوهلة حتى تأكدت أنه عاد إلى غرفته، ثم زفرت في ارتياح ووقفت تلتقط أنفاسها قليلاً، بعدها غادرت إلى غرفتها، وقبل أن تفتح باب غرفتها سمعته يتشاجر في الهاتف بصوتٍ مرتفع، فلم تستطع مقاومة فضولها ووقفت خلف باب غرفته تسترق السمع لحديثه، لكن عكازها سقط أرضاً محدثاً جلبةً عالية، عضت على شفتها السفلى حتى كادت تقطعها، سكت كريم تماماً فأيقنت أنه قد سمعها، انحنت لتجذب العكاز، فسمعت صوت باب غرفته يُفتح ورأته يقف أمامها والشرر يتطاير من عينيه، تمنت في تلك اللحظة أن تتلاشي صورته لكنها كانت تعلم جيداً أن ذلك لن يحدث هذه المرة!!!

جذبها بقوة فقد كادت نور تسقط وهي تنحني لتحضر العكاز من شدة الارتباك حينما رأت كريم يفتح باب غرفته، ساعدها على الاتزان ثم التقط العكاز من الأرض وأعطاه لها، وهو يرمقها بنظراتٍ تقطر شكٌ وضيق، ثم قال بنبرةٍ تغلب عليها العصبية:

-"ماذا تفعلين هنا في مثل هذا الوقت؟!"

ازدردت ريقها في صعوبة ثم أجابته بتلعثم:

-"كنت ذاهبةً إلى الحمام لكني تعثرت فسقط العكاز من يدي كما رأيت"

رمقها بنظرةٍ طويلة بعض الشيء أو هكذا خُيّل إليها قبل أن يومئ برأسه متفهماً ثم يتركها ويدخل إلى غرفته، ما أن أغلق الباب حتى تجمدت في مكانها متعجبةً مما فعله معها، لم يكن بذلك السوء الذي توقعته، أصبحت عاجزةً عن فهمه أو توقع ردة أفعاله، ربما لم تكن تلك الكلمة "سأقتلها" تعنيها من الأساس؟! أو أنها أخطأت في تمييزها كما قالت سمية، لكنها قررت نفض تلك الأفكار عن رأسها مؤقتاً وكادت تصرخ فرحاً غير مصدقةً أن هذه الليلة قد مرت بسلام!

مرَّت الساعة تلو الأخرى وهي غارقة في صفحات الانترنت، تقرأ في نتائج البحث عن صورة المفتاح، لكنها لم تعثر على شيء ذو فائدة، عشرات الصفحات ذات الموضوعات المتكررة عن قصص لحضارات قديمة لا يُعرف إن كانت حقيقة أم محض خيال، غلبها النعاس فاستسلمت للنوم في النهاية، وعقلها يرسم مشهداً تراه من خلف جفنيها المغمضين تتداخل فيه صورة المفتاح مع صورة ليلى ترتدي فستان الزفاف وهي تقبض عليه بيُمناها وتطل من عينيها نظرة انتصار تعني الكثير!

****

-"أين أنتِ؟!"

-"أنا بداخل البازار، وصلت باكراً وأطفأت كاميرات المراقبة كما طلبت"

-"جيد! دقائق وأصِلُ إليكِ"

-"هيا أسرع لقد تأخرتَ كثيراً!"

بعد دقائق دخل كريم بازار "كُنوز" المملوك ليحيى ابن عمه بمنطقة خان الخليلي، استقبلته ليلى بابتسامتها الساحرة التي لم تدم طويلاً مع تلك الملامح العابسة التي ترتسم على وجهه، ارتبكت قليلاً ثم سألته:

-"ما الأمر؟"

أعتقد أن نور قد سمعت حديثنا بالأمس، لا أعرف تحديداً ماذا سمعت ولا ما "-
"!فهمته
:ثم زادت نبرة صوته حدةً وارتفاعاً وهو يستطرد في انفعال
وكل ذلك بسببك! أخبرتكِ ألا تتصلي بي مطلقاً هذه الفترة، أنا فقط من يحدد "-
"الموعد المناسب للحديث والاتصال
لم تحاول ليلى إخفاء ملامح الضيق التي ارتسمت على وجهها، بل أنها تعمدت
:المبالغة فيها لتُشعره بالذنب وهي تجيبه بنبرةٍ حزينة
أنا آسفه! كنت فقط أريد اخبارك بأمرٍ بالغ الأهمية لم أستطع الانتظار حتى "-
الصباح لإخبارك به، فأنت تعلم مدى ثقتي في ذكائك وتفسيراتك التي لم تخفق يوماً
"في إبهاري، ولكنك لم تعطني الفرصة للحديث تشاجرتَ معي ثم أنهيتَ الاتصال
ثم ارتسمت على شفتيها ابتسامة خبيثة وهي تراقب ملامح كريم التي هدأت كثيراً
وعيناه التي تبددت نظرات الحنق منهما تماماً، فأيقنت أنها قد نجحت في إصابة
:هدفها تماما، ثم أردفت في خبث
"والأهم هو ما سنصل إليه قريباً جداً"-
:عقب كريم في حيرة
"ماذا تقصدين؟"-
نظرت إلى الساعة التي كانت قد تجاوزت الثامنة والنصف صباحاً بقليل، ثم قالت
:على عجلة
ليس أمامنا متسع من الوقت، تعلم أن يحيى يصل في التاسعة تقريباً قلما يتأخر "-
"!عن ذلك، اتبعني بسرعة
قالتها وانطلقت نحو الباب الخلفي الصغير في آخر البازار والذي يؤدي إلى مخزن
في الطابق السفلي، فتحت الباب الصغير وهبطت درجات السلم راكضةً وكريم
يتبعها في دهشة، أضاءت مصابيح المخزن الممتلئ عن آخره بالكراتين الضخمة، ثم
:وقفت بمحاذاة جداره الشرقي، وهي تقول في جدية
يوجد شيء ما خلف هذا الجدار! البارحة عندما كان يحيى يبحث عن المفتاح، "-
رأيته يتسلل إلى هنا بعدما أخبرته بأنني سأغادر وأذن لي بذلك، تظاهرت بالانشغال
في جمع أغراضي وتظاهر هو بالسير إلى آخر البازار ليتحدث في الهاتف، خرجتُ
بالفعل وأغلقت الباب خلفي كما طلب مني، لكنني كنت أراقبه من خلف زجاج
الواجهة الخارجية للبازار، نظر جيداً ليتأكد من مغادرتي ثم فتح باب المخزن ودخل
إليه، لم استطع مقاومة فضولي، عدت إلى الداخل ثانية وأخذت أنظر في الشاشة
الموجودة على مكتب الحساب، والتي تظهر فيها صور مختلفة تنقلها كاميرات

المراقبة المتواجدة في أماكن متفرقة من البازار، إحداها موجودة بالمخزن، رأيته يقف هنا تحديداً بجوار هذا الجدار يتفحصه جيداً، يطرق عليه بقوة وينصت الاستماع للصوت المرتد عن طرقاته، لكن أثناء انشغالي بمراقبته دخل زبون إلى المحل برفقة زوجته، ارتبكت كثيراً حين رؤيتهما وخفت أن يتحدثا معي فيسمعهما يحيى وينكشف أمري، فاستغليت انشغالهما بالتفحص في الأغراض وسارعت بالانصراف!"

اقترب كريم من الجدار وأخذ يتحسس سطحه بيده جيئةً وذهاباً، ثم أخذ يضرب بقبضته عليه وهو ينصت للصوت المرتد عنه كما كان يفعل يحي، ارتفع حاجبيه في دهشه، وغمغم قائلاً:

-" معكِ حق يوجد شيء ما خلف هذا الجدار! تُحدث الطرقات صدى واضح تدل على وجود فراغ خلفها"

قطع حديثه شهقة عالية انطلقت من حلق ليلى وهي تنظر إلى ساعتها التي تجاوزت التاسعة بثلاثة دقائق، قالت في ارتباكٍ بالغ:

-" سيصل يحيى في أية لحظة، أرجوك أعطني المفتاح وغادر بسرعة، سنتحدث في الأمر لاحقاً"

أخرج كريم العلبة من حقيبته وأعطاها لها ثم همَّ بالمغادرة، لكنه توقف لحظةً يراقب تلك الابتسامة العجيبة التي ارتسمت على شفتيها وهي تفتح العلبة و تنظر إلى المفتاح نظرةً غير مفهومة، لكنها ما أن انتبهت لنظراته حتى سارعت بالالتفات بحثاً عن مكان بين الكراتين تضع فيه المفتاح ليظهر وكأنه كان هنا منذ البداية ولم ينتبه إليه أحد، أخذت العلبة الأرابيسك والتي تعني لها الكثير فقد صُنِعت لها خصيصاً، اختارت تصميمها بنفسها وبالغت في كم الأصداف المرصعة بها، ثم طلب كريم من يحيى تنفيذها على أنها هدية منه لنور، ابتسمت في ظفر حينما تذكرت تلك النقطة تحديداً ثم ركضت مسرعةً لتصعد إلى الأعلى وتلحق بكريم الذي كان قد سبقها بالفعل وغادر البازار، تنفست الصعداء وهي تجلس على الكرسي خلف طاولة الحساب، ثم قامت بتشغيل كاميرات المراقبة ونظرات الانتصار تُطل من عينيها وقد نجحت في انهاء كل ما كانت تريد فعله وقبل وصول يحيى!

****

في الساعة التاسعة والنصف صباحاً

فتحت نور عينيها في ثقل، محاولةً تذكر سبب رنين جرس الباب في مثل هذا الوقت، لم تجد إجابة منطقية فلا أحد يزورها مطلقاً، لا أصدقاء ولا أقارب ولا جيران، فمن عساه قد يكون؟؟

قامت من فراشها وجفناها يتساقطان من شدة النعاس، فقد نامت في وقتٍ متأخر جداً الليلة الماضية مع تلك الأبحاث عن المفتاح والتي استغرقت ساعاتٍ طويلة ضاعت بلا طائل من ورائها، أمسكت بعكازها وهمت بالخروج من غرفتها، لكن حاجباها ارتفعا في دهشةٍ عارمة ثم ما لبثا أن تشابكا من شدة الذهول الذي اعتراها مع عبارة تالا التي اخترقت آذانها وهي تصرخ في فرحةٍ شديدة:

-"خالتي سمية!"

اعتصرتها سمية بين ذراعيها وهي تمطرها بالقبلات، ثم فتحت ذراعيها لتستقبل دارين التي احتضنتها بدورها في سرورٍ كبير زادت منه كلمات سمية التي همست بها في أذنيها:

-"تزدادين جمالاً في كل مرةٍ أراكِ فيها يا دارين"

طربت آذان دارين لعبارتها واعتصرتها هي الأخرى بذراعيها في قوة، فقد مضت ما يقارب السنة منذ أن التقيتا بها آخر مرة، وقفت نور تراقب المشهد ودموعها تنساب على وجنتيها رغماً عنها، تمنت لو أن باستطاعتها رمي ذلك العكاز اللعين لتركض إليها هي الأخرى، ما أن رأتها سمية على تلك الحالة حتى انقبض قلبها ألماً و سارعت نحوها في تأثرٍ شديد، دفنت نور رأسها بين ذراعيها كطفلة صغيرة في حضن أمها ثم أجهشت بالبكاء بحرقة، دموع ساخنة سالت من عينيها تحمل خليط من المشاعر المتأججة بداخلها، تشكو بها حالها ومصابها وتفصح عن مدى ضعفها وانكسارها، ظلت سمية تقبل رأسها وتمسح على شعرها في حنان، ودموعها تنساب هي الأخرى، تركتها حتى أفرغت نور ما بداخلها وبدأت تهدأ قليلاً، ثم اصطحبتها إلى غرفتها وهي تخاطب دارين قائلة:

-"أعدي لأمك كوباً من عصير الليمون عزيزتي"

أومأت دارين برأسها إيجاباً وركضت تنفذ ما طلبته منها.

ساعدت سمية نور لتستلقي على فراشها، فبادرتها نور القول:

-"لماذا أتيتِ يا سمية؟! لابد أن منصور زوجك غاضب منكِ الآن"

ابتسمت سمية في هدوء وهي تجيبها قائلة:

-"لا عليكِ حبيبتي، منصور دائم الغضب لا يرضيه شيء مطلقاً، لقد أقنعته بضرورة قدومي إليكِ على مضض وهذا ما كان يجب أن يحدث منذ يوم الحادث، سأظل بجوارك حتى تستعيدي عافيتك تماماً"

ترقرقت عينا نور بالدموع فهي في أمس الحاجة لوجودها بقربها في مثل هذه الظروف، وهمست في امتنان شديد:

-"أُحبكِ كثيراً"

ربتت سمية على رأسها وهي تقول:
"وأنا أيضاً صغيرتي، لا تقلقي سيكون كل شيء على ما يرام أعدك بذلك"-
قالتها بجديةٍ بالغة وهي تعني كل حرفٍ فيها!
****
"هل من جديد؟!"-
نعم! فرصة ذهبية! أخبرني يحيى بأنه مضطرٌ للسفر غداً لأمرٍ طارئ ولن يأتي "-
للبازار، إنها فرصتك!"
والمفتاح؟!"-
"وجده ثم خبأه في مكانٍ أعرفه جيداً لا تقلق"-
ابتسم في زهوٍ قائلاً:
"حقاً فرصة ذهبية! اعدكِ أنني سأستغلها للدرجة القصوى!"-

الجزء الخامس

تأملت سمية في صورة المفتاح على هاتف نور، ثم مطت شفتيها في تعجب وهي تغمغم قائلةً:

-"غريبٌ حقاً! لا يبدو مفتاح عادي على الإطلاق! لا شك أن وراءه سر كبير"

ثم صمتت قليلاً قبل أن تستطرد:

-"هل كان الخط المكتوب به على الورقة تحت المفتاح خط كريم أم لا؟!"

حدقت فيها نور مدهوشة وهي تجيبها في حيرة:

-"لا أعلم لم أنتبه للخط، صدمتي من العبارة المكتوبة بداخلها أفقدتني القدرة على التركيز حينها، لماذا تسألين؟!"

-"أريد أن أعلم هل هي من كتبها أم هو؟!"
زوت نور بين حاجبيها وهي تتساءل مستغربة:

-"وما الفارق؟! كلاهما بالتأكيد على علمٍ بقصة ذلك المفتاح"

نظرت إليها سمية نظرةً لم تفهمها، ثم أجابتها قائلةً:

-"بل هناك فارق كبير! إن كانت هي من كتبتها فلذلك دلالات كثيرة أبرزها أنها هي من أعطته ذلك المفتاح! وهذا يؤكد أنها ليست تلك الفتاة البريئة ذات الوجه الملائكي كما تظهره صورها، بل هي حية سامة تُخفي بجُعبتها الكثير!"

زادت حيرة نور مع كلمات سمية، فأشارت بيدها متسائلة:

-"وكيف سنعرف إجابة هذا السؤال الآن؟!"

هزت سمية كتفها وهي تجيب:

-" لا أعتقد أننا سنعرفها الآن، لكني على يقين أننا سنعرف حقيقة ما يجري قريباً جداً"

تنهدت نور في يأس وهي تشعر أن ذلك لن يحدث مطلقاً!

استمرا في جدالهما طيلة اليوم ونور تعيد على مسامع سمية كل ما حدث من البداية، للمرة الثالثة تقريباً، وسمية تمطرها بالأسئلة كمحققٍ عتيد، حتى التفتت نور مرةً واحدة وكأنها سمعت شيئاً ما، ثم حدقت في سمية وهي تقول بارتباك:

-" صوت الباب، لقد عاد كريم!"

تبدلت ملامح سمية، وكست وجهها بملامحٍ جادة، ثم قررت الخروج من الغرفة لتبلغه بأنها ستبقى في المنزل حتى تمام شفاء نور، طلبت منها نور الانتظار لترافقها وهي ترتجف من فرط التوتر، كانت تعلم جيداً أن ذلك لن يعجبه مطلقاً، خرجتا من الغرفة لاستقباله، تجمد في مكانه من المفاجأة حينما وقعت عيناه على سمية، شعر بارتباكٍ شديد فلا شك أن نور قد أخبرتها بكل ما جرى بينهما صباح يوم الحادث، وهو يُكِنُّ لها الكثير من التقدير والاحترام ولطالما اعتبرها أم نور التي لم يلتقيها قط، بادرها بعبارة ترحيبٍ ردت عليها باقتضابٍ متعمد، وبدون أي مقدمات أخبرته بعزمها البقاء حتى شفاء نور، أومأ برأسه إيجاباً مرحباً بوجودها ، ثم همَّ بالانصراف وحينما وقعت عيناه على نور لاحظ ارتجافة يديها ونظرات الترقب لردة فعله التي تطل من عينيها، فأشفق عليها وابتسم لها لتهدأ قليلاً، تعجبت كثيراً لما فعله وبادلته بنظرة امتنان سرعان ما تبددت عندما وجدته يمر بجوار سمية ثم انقطع الكيس البلاستيكي الذي كان يحمله وسقطت منه بعض أدوات النجارة ثقيلة الوزن التي كادت أن تسقط فوق قدمي سمية لولا أن صورته تلاشت من أمامها، فصرخت نور في فزع وهي تدفع سمية جانباً بيدها قائلةً:

-"سينقطع الكيس!!"

سار كريم بضع خطوات وهو يحدق فيها متعجباً مما فعلته ثم ما لبث أن انقطع الكيس أمام عينيه بالفعل وسقطت جميع محتوياته تماماً عند الموضع الذي كانت تقف فيه سمية قبل قليل، امتقع وجه نور وارتبكت سمية كثيراً بينما أخذ كريم يرمقهما بنظراتٍ تحمل الكثير من الدهشة والشك على حدٍ سواء، وقد شعر أنهما تخفيان شيئاً ما، لكن سقوط الأدوات أمامهما أربكه هو الآخر، وخاصةً حينما ظلَّتا تحدقان فيها وتراقبانه وهو يجلس على ركبتيه أرضاً يجمعها مسرعاً قبل أن ينهض ويتجه نحو غرفته دون أن ينبس ببنت شفه!

****

عادت نور إلى غرفتها برفقة سمية، وهي تضرب بيدها على رأسها في ندم شديد مغمغمه في خفوت:

-"غبية! كشفت أمري بنفسي"

ربتت سمية على كتفها لتهدئ من روعها قائلةً:

-"لا عليكِ لن يفكِّرَ كثيراً فيما قُلْتِه فمن الواضح أن هناك شيء أكثر أهمية بكثير يشغل باله"

-"تقصدين تلك الأدوات التي كانت بحوزته؟!"

-"نعم بالتأكيد! اسمعي يا نور، جلوسنا هنا مكتوفتي الأيدي لن يوصلنا لشيء، كريم يخفي شيء ولابد أن نعرفه!"

مطت نور شفتيها قائلةً:

-"وماذا سنفعل؟!"

أجابتها سمية في إصرار:

-"سأخبرك لكن ليس الآن! أريدك أن تظلي خارج الغرفة حتى ينام، تظاهري بمشاهدة التلفاز أو البقاء بجوار البنات، وسأمكث أنا هنا حتى لا يزعجه وجودي".

حدَّجتها نور بنظرةٍ بلهاء وهي تقول متسائلةً:

-"لماذا؟"

ابتسمت سمية ابتسامةً ذات مغزى، ثم أجابتها في ثقة:

-"ستعرفين وحدك!"

****

استلقت نور على الأريكة في غرفة المعيشة، متظاهرةً بالبقاء برفقة بناتها، بينما كانت عيناها تلتفتان تلقائياً نحو باب غرفة كريم بين الحين والآخر، الذي ما لبث أن انفتح وخرج منه يتلفت حوله، فهمت أنه يتأكد من عدم وجود سمية خارج الغرفة،

سار نحو الحمام تاركاً باب غرفته مفتوح، لم تستطع نور مقاومة فضولها فاستغلت انشغال البنتين بالتابلت الذي بحوزتهما ثم تظاهرت بالعودة إلى غرفتها لكنها تسللت إلى داخل غرفة كريم، أمسكت بحقيبته تبحث عن العلبة والمفتاح، لكنها كانت خالية سوى من بعض الأوراق الخاصة بالعمل، لفت انتباهها صوت وصول رسالة على هاتفه الذي تركه فوق السرير، كما توقعت كانت من ليلى، يظهر محتواها على شاشة الهاتف:

-"عزيزي لا داعي للذهاب باكراً فيحيى لن يأتي وأمامنا اليوم بأكمله"

احتقنت الدماء في وجهها واشتعلت النيران في قلبها فألقت بالهاتف على السرير كما كان ثم غادرت الغرفة في عصبية عائدةً إلى الأريكة.

بعد قليل اتجه كريم إلى المطبخ باحثاً عن شيء يأكله، لفت اتباهه تلك النظرات التي ترمقه بها نور، اندهش في البداية ثم توقع أن يكون ذلك بسبب تلك الأدوات التي رأتها فهو يعلم جيداً مدى فضولها وانزعاجها من فكرة إخفاء شيء عنها، لذلك تجاهل نظراتها تماماً، وقرر تناول طعامه على مائدة الطعام بعيداً عنها، لكنها فاجأته بالجلوس أمامه، توقف الطعام في حلقه وشعر أنه على وشك الدخول في شجار سخيف فانقلبت ملامح وجهه متحفزاً، لكنها فاجأته بقولها:

-"عندي موعد عند طبيب العظام غداً وأريدك ان تأتي معي"

لم يكن ذلك ما توقعه فهدأ ثم أجابها في برود:

-" لن أستطيع فأنا مشغول للغاية غداً، جيد أن سمية هنا لترافقك"

ضغطت نور على أسنانها في غيظ وهي تجاهد نفسها حتى لا تنفجر في وجهه، ثم قامت مبتعدةً عنه لكنها وقفت بجوار باب المطبخ تراقبه من بعيد، أنهى طعامه واتجه نحو غرفته وهم بإغلاق الباب لكن رنين هاتفه جعله يلتفت نحو السرير وينحني لالتقاطه أولاً، فتعثر حتى كاد يسقط وبحركة لا إرادية ضرب بيده عدة ضربات في الهواء أصابت إحداها وسادته فسقطت أرضاً وسقط من داخل غطاءها المفتاح على الأرض محدثٌ جلبةً واضحة، اتسعت عينا نور حينما وقعتا على المفتاح فتحركت بضع خطواتٍ للأمام لتتأكد انه هو، ارتبك كريم كثيراً لسقوط المفتاح والتفت بحركةٍ حادة لالتقاطه وهو ينظر نحو الباب ليتأكد من عدم رؤية أحدٍ

له، فتلاقت عيناه بعيني نور التي كانت على بعد خطواتٍ قلائل من باب الغرفة، ازدردت ريقها في صعوبة وتعالت ضربات قلبها وتجمدت الدماء في عروقها من فرط التوتر لكنه ما لبث أن تلاشى من أمام عينيها، لم ينتزعها من ذهولها سوى رؤيته يمر من أمامها في طريقه نحو غرفته، تمالكت أعصابها بصعوبة وهي تلوم نفسها مغمغة في خفوت:

-"كل مرة تشل تفكيرك المفاجأة فلا تنتبهين لكونها ليست الحقيقة!" ثم تحركت مسرعةً إلى غرفتها لتخبر سمية بما حدث!

****

وصل كريم إلى البازار نحو الساعة العاشرة والنصف صباحاً حيث كانت ليلى في انتظاره، نزلا إلى المخزن وبدأ كريم بتمشيط كل شبرٍ في أرضه وجدرانه بحثاً عن مدخلٍ خفي أو بابٍ سري!

ساعاتٍ طويلة وهما منهمكان في تحريك كراتين البضائع الممتلئ بها المخزن الصغير للبحث تحتها ومن ثم إعادتها إلى مكانها ثانيةً كما كانت تماماً حتى لا يشك يحيى في شيءٍ حين عودته، لكن بلا جدوى! لا شيء يذكر، تسلل الإحباط إلى قلب كريم، ربما لا يوجد شيء من الأساس!

لكن ليلي أبت أن تتركه يستسلم بتلك البساطة، فصاحت بانفعال حينما رأته يجلس على كرسي خشبي صغير يلتقط أنفاسه وهو يطرق رأسه نحو الأرض في يأس:

-"ماذا بك؟ هل استسلمت وانتهى الأمر؟! لا لن يحدث بعد كل ما فعلته من أجلك، أنت مدين لي بالكثير وستكمل البحث حتى نصل إلى ما نريد"

انزعج كريم كثيراً مما قالته وأجابها في عصبية:

-" لم أجبركِ على فعل شيء كانت فكرتك منذ البداية! أنتِ من اقترحتِ فكرة عملك هنا لمراقبة يحيى وأنتِ من أخذتِ المفتاح ذلك اليوم حينما نسيه فوق إحدى الكراتين بالمخزن دون الرجوع إليّ أو استشارتي، وأنتِ التي خططتِ لما نفعله الآن!"

ثارت ثائرة ليلى واستشاطت غضباً فصاحت وعروقها تكاد تنفجر من فرط الانفعال:

-" ألم أفعل كل ذلك من أجلك؟! ألست أنت من أتى إليَّ يشكو من غدر يحيى وكيف اقترض منك المال دون أن يخبرك بنيته في شراء هذا البازار حتى لا تصبح شريكه، وبعد علمك بالأمر رفض طلبك الشراكة معه، اقترحتُ عليك عملي هنا لأكون عينك في المكان حتى نعثر على ثغرة تجبره بها أن يقبل شراكتك، والأكثر من ذلك حينما كشفتُ سِرَّه وأخبرتك به، كل ذلك فعلته لأجلك أنت وفي النهاية يكون هذا هو جزائي!"

صمت كريم وهو يحيد بنظره نحو الجدار الشرقي للمخزن ليتحاشى النظر إليها، ثم فجأةً قام في حركةٍ آلية متجهٌ نحوه وأخذ يطرق عليه كما فعل سابقاً، ابتسمت ليلى حينما رأته قد عاد للبحثِ ثانيةً، ثم ارتفع حاجبيها مدهوشةً حينما وجدته يتحرك مسرعاً نحو الكرسي الخشبي الذي كان يجلس عليه قبل قليل، جره نحو منتصف الجدار تماماً ثم وقف فوقه وتابع الطرق عليه نحو الأعلى حتى نهايته وهو يلصق أذنه لينصت إلى صدى الصوت المرتدِّ عنه، ثم حرك الكرسي نحو اليمين ووقف عليه وكرر ما فعله ثم هبط وسحبه نحو طرف الجدار الأيسر ووقف فوقه ثم أعاد ما فعله ثانيةً، فتهللت أساريره ونظر إلى ليلى وعيناه تتقدان في حماسه وهو يصيح قائلاً:

-" لقد فهمت!!!!"

الجزء السادس

تحرك كريم مسرعاً نحو السلم المؤدي إلى الدور العلوي من البازار وليلي تلحقه راكضةً دون أن تفهم ما الذي يجري وهي تصيح في فضول:

-"أخبرني ماذا فهمت"

تجاهل كريم سؤالها وتابع صعود السلم حتى خرج من المخزن، ثم وقف يدير نظره في المكان محاولاً مطابقته مع موقع الجدار الشرقي للمخزن، ثم تحرك يميناً وجلس على الأرض في منطقة محددة وجعل أذنه ملاصقةً للأرض تماماً وظل يطرق بيده وهو يرهف السمع، ثم يتابع الحركة يميناً بضع خطوات وأخذ يكرر ما يفعله المرة تلو الأخرى وليلى تراقبه في ذهول لا تفهم ماذا يفعل، حتى وصل إلى أقصى الجهة اليمنى ثم اتسعت عيناه وهو يطرق على الأرض وأذنه ملتصقةٌ بها ويقول صائحاً:

-"لقد وجدته! إنه هنا تماماً"

قالها وهو يشير إلى الموضع أسفل يده، ارتفع حاجبي ليلى وهي تعقب على ما قاله في تعجب:

-"كيف يكون ذلك؟!"

أجابها في زهو:

-" إنه ممر طولي وليس عرضي، بدايته من هنا ويمتد إلى الأسفل بمحاذاة الجزء الأوسط من الجدار الشرقي للمخزن فمساحة المخزن أصغر من مساحة الدور العلوي من البازار"

غمغمت ليلى في انبهار:

-"رائع! ما كان يحيى ليصل إليه بمفرده! من البداية كانت الحكاية التي أخبره بها صديقه مازن عن السر الذي يخفيه العم يونس رحمه الله هنا هي السبب وراء مجازفته بشراء هذا البازار الذي لم يكن يمتلك سوى ما يقارب ثلثي ثمنه فقط، ومن اليوم الأول وأنا أراه بين الحين والآخر يبحث عن شيء ما، لكنه منذ اللحظة التي عثر فيها على المفتاح في درج سري بالمخزن فُتح بالمصادفة أثناء توضيبه للأغراض وهو لا يبحث سوى بين جدرانه!"

شرد كريم قليلاً مع ما قالته قبل أن يعقب في ضجر قائلاً:

-"أناني! كان بوسعه إخباري واقتسام ما سيعثر عليه معي لكنه اختار أخذ مالي وتحقيق مراده على حسابي ودون أي منفعةٍ تذكر لي! إن كانت تلك الحكاية عن العم يونس هذا صحيحة فنحن على موعدٍ مع ثروةٍ كبيرة على بعد خطواتٍ من هنا، فكرت لوهلةٍ في قتله إن عثر عليها أولاً، لكن يكفي أن يكون عقابك يا يحيى هو حصولي عليها وحدي!"

أشعل حديثه عن الثروة حماس ليلى فهتفت قائلةً:

-"وما خطوتك التالية؟!"

تحرك مسرعاً نحو حقيبته التي يضع فيها أدوات النجارة التي أحضرها معه خصيصاً لهذا الأمر، ثم جذبها إلى حيث الموضع الذي حدده قبل قليل وهو يغمغم:

-"لحسن الحظ أنه لم يغير أرضيات البازار!"

ثم ما أن أعاد الطرق بيده ليتأكد من الموقع الصحيح حتى أدرك أنه لم يكن في حاجتها من الأساس، فالبلاطة تحت يده تماماً تهتز في وضوح لتكشف عن كونها غير ثابتة، لم يستغرق الأمر كثيراً من الجهد لرفعها من مكانها، ثم إزاحة البلاطة المجاورة لها، وهكذا فعل في أربع بلاطات كبار متجاورة على شكل مربع كشفوا أسفلهم عن بابٍ خشبي صغير ظهر أمام أعينهما مباشرةً، تهللت أساريرهما وظلا يصرخان فرحاً، كان الباب مغلق بقفلٍ فضي ضخم يتوسطه ياقوته حمراء صغيرة، اتسعت عينا كريم وصاح قائلاً:

-"المفتاح!!!"

رمقته ليلى بنظرةٍ لم يفهمها في البداية، لكن حيرته لم تدم طويلاً مع كلماتها التي كانت صادمةً له إلى أقصى درجة:

-"إلى هنا انتهى دورك عزيزي، المفتاح معي! أنا فقط من تعرف مكانه! وما يوجد تحت هذا الباب هو من حقي وحدي وإلا سأضطر لفضحك!

أكثر من سنةٍ ونصف وأنت تشكو وتشكو من زوجتك المملة وكيف أضحت حياتك جحيماً لا معنى لها ولا راحة فيها، وكيف اشرقت الشموس وأضاء الكون وتفتحت

الأزهار في اليوم الذي رأيتني فيه، في البداية صدقتك وحلمت معك بحياةٍ هانئة سعيدة، لكنك ظللت تماطل وتماطل في اتخاذ خطوةٍ جادة للزواج مني، ثم استغليتني لتحقق هدفك في الشراكة مع يحيى، ومن بعدها لتصل إلى الثروة المخفية هنا، الحقيقة أنك طيلة الوقت لا تفكر سوى بنفسك ومصلحتك فقط! لا تكترث لأمر أحدٍ سواك، لا أنا ولا زوجتك ولا لأمر يحيى، مستعد أن تخسر الجميع في سبيل تحقيق ما تريد، أدركت ذلك متأخراً جداً لكني لن أنتظر حتى تفعل هذا بي!

منذ حادث زوجتك وأنا اشعر بمدى التغيير الذي طرأ عليك، أصبحتُ عبئاً ثقيلاً على كاهلك، أدركت أنك تتمنى الخلاص مني لكنك تنتظر الوصول إلى ما تُخفيه جدران هذا البازار أولاً! بعدها لن تتردد كثيراً في تركي لتعود إليها، وقررت منذ أدركت تلك الحقيقة أن أنتقم منك! فكرت في أن أفضح أمرك وأخبر يحيى بكل شيء لكني كنت سأخسر وجودي هنا قبل وصولي إلى الثروة لذلك قررت الانتظار حتى آخذ حقي منك أولاً، والآن سأريحك من حيرتك وسأسمح لك بتحقيق مرادك والخلاص مني في هدوء لكن مقابل ما سأجده تحت هذا الباب!"

حدق فيها كريم لوهلة غير مصدق لما سمعته أذنيه للتو، ثم انفجر يقهقه قائلاً:

-"غبية! لم أكن أخدعك لولا ذلك الحادث لكنت نفذت ما وعدتك به، لا أنكر أنه تسبب لي في اضطرابٍ شديد جعلني أعيد حساباتي وأتراجع عن التنفيذ إلى أجلٍ غير مسمى حتى أحسم أمري، لكني لم أكن أفكر بتركك مطلقاً، كنت في حاجةٍ للمزيد من الوقت فقط، لكنك بعد ما قُلتيه الآن قد ساعدتني كثيراً في اتخاذ قراري!

شيء آخر نسيت إخبارك به! المفتاح الذي بحوزتك ليس أصلياً وغير متطابق مع المفتاح الأصلي، فقط يشبهه كثيراً! قمت بعمل نسخة منه عند ورشة تصنيع فضيات شهيرة لا أنكر أنه كلفني مبلغاً كبيراً لكن النتيجة كانت تستحق، لم أتوقع أن يكون مشابهاً له هكذا، فعلت ذلك خشية أن يأخذه يحيى ولا نعرف له طريقاً"

ثم ابتسم في ظفرٍ قائلاً:

-"والآن بإمكانك الانصراف لم يعد لوجودك ضرورة مطلقاً، ولا تنسي إخبار يحيى بكل شيء فلا يهمني ذلك، سيكون الوقت قد تأخر كثيراً على كل حال!"

تجمدت الدماء في عروقها وهي تنظر إليه بعينين زائغتين من شدة المفاجأة، ونظرات التشفي والسخرية تتطاير من عينيه كشظايا حارقة تصيبها بلا رحمة، ثم فجأةً سمعا صوت باب البازار يُفتح، التفت كلاهما نحوه بنظراتٍ ذاهلة لتخرج من حلق ليلى شهقة فزعٍ عالية، وتتسع عينا كريم عن آخرهما وهو يرى يحيى يقترب منهما وبصحبته نور وسمية!

قبل أن تقول نور بصوتٍ باكي وقلب محترق وهي تشير بيدها:

-"المفتاح معي أنا!"

ابتسم يحيى في شماتةٍ قائلاً:

-" أشكرك كثيراً على مساعدتي في العثور على ذلك الباب، لقد صدقت ليلى في قولها لم أكن لأعثر عليه بمفردي، آه نسيت إخبارك! نحن هنا منذ وقتٍ طويل، انتظرت حتى نزلتما إلى المخزن ثم دخلت البازار وشغلت كاميرات المراقبة التي كنتُ قد وصلتها مسبقاً بهاتفي قبل أيام، واستمتعت كثيراً بمشاهدة عنائكما في البحث لساعات وأنا جالس في سيارتي!"

****

في الليلة السابقة

بعد ان رأت نور المفتاح يسقط من تحت وسادة كريم ودخلت مسرعة إلى غرفتها تحكي لسمية ما حدث، قررت سمية أن تخبرها بما كانت تخفيه عنها انتظاراً للوقت المناسب، قالت في خجل:

-"عزيزتي نور! عندما أخبرتني أن كريم قال "سأقتلك" استبد بي الخوف والقلق عليكِ منه، لم أجد أمامي خيار سوى الاتصال بيحيى، دخلت إلى حساب كريم على الفيسبوك وبالطبع كان يحيى في قائمة أصدقائه أرسلت له رسالة أخبرته فيها من أكون وطلبت منه الحديث لأمرٍ ضوري، وبالفعل اتصل بي، تعمدت في البداية ألا يكون حديثي واضح حتى أعرف إن كان على علمٍ بما يجري بين كريم وليلى أم لا، وحين تأكدت من حديثه أنه لا يعلم بمعرفتهما لبعضهما البعض من الأساس، أخبرته بما عرفناه، وما يجري بينكما منذ يوم الحادث وحتى اليوم، لكن رده كان مفاجئاً كثيراً بالنسبة لي فقد أخبرني بوجهٍ آخر للقصة لم أكن أعلم عنه أي شيء، كان

صريحاً للغاية وحكى لي موضوع البازار من بدايته، أخبرني أن شراؤه كان فرصة ذهبية لم يكن ليقبل ضياعها منه، فاقترض ما يقارب نصف ثمنه من كريم على أن يرده إليه بعد سنةٍ واحده دون أن يخبره بسبب حاجته للمال، وبعدما اشتراه أتت إليه ليلى أثناء تجهيزه لتقص عليه قصة مرض والدتها وحاجتها الماسة للعمل، صدقها وأشفق عليها وقَبِلَ عملها معه لمدة شهرٍ واحد تحت الاختبار كفرصةٍ لتثبت جدارتها وإلا ستترك العمل، وبالفعل كانت تتفانى في عملها على نحوٍ لافت فلم يتركها تستمر فحسب بل زوَّد راتبها أيضاً، لكنه منذ فترة بدأ يلاحظ أسئلتها الغريبة واهتمامها الكبير بمعرفة تفاصيل من المفترض أنها لا تعنيها، فتظاهر بعدم ملاحظة الأمر واكتفى بمراقبتها ليعلم ما تودُّ الوصول إليه، وبعد ما أخبَرتُهُ أنا به فهم نية كريم في التجسس عليه ومعرفة أخباره منها، وأثار أمر المفتاح استياءه للغاية، فأخبرني أنه مفتاح له قيمة كبيرة عنده وأمره يخصه وحده، لذلك لم أشأ السؤال عنه أكثر حتى لا أزيد من انزعاجه، أخبرني أنه سيضع خطة للإيقاع بهما قريباً ولذلك جئتُ إليك لأكون بجوارك حالما ينكشف كل شيء فقد تتطور الأمور إلى درجةٍ أسوأ مما نتوقع تصل إلى انتقام كريم منكِ وإيذاؤك!

واليوم بعد وصولي إلى هنا بقليل، اتصل بي يحيى وأخبرني بما ينوي فعله غداً وأنه قد تعمد وضع المفتاح في مكانٍ تراه ليلى أثناء ذلك، بينما يتظاهر هو بعدم ملاحظته لها، ثم أخبرها بغيابه عن العمل غداً ليرى بنفسه ماذا الذي سيفعلانه"

صمتت سمية قليلاً وهي تحك ذقنها بيدها وتضيق حدقة عينها، ثم أردفت في تعجب:

-"لكنك تقولين الآن أنكِ رأيتِ المفتاح يسقط من تحت وسادة كريم، فكيف يكون ذلك؟! سأتصل بيحيى على الفور وأخبره".

****

هدر يحيى في انفعال:

-"لا شك أنه المفتاح الأصلي والآخر بالبازار هو نسخه مقلده أراد خداعي بها، لا تتركوه يأخذه معه غداً، الأمر جدِّيٌ للغاية قد يفسد وجوده بحوزته كل ما خططت له"

لم تفهم سمية تماماً ما يعنيه لكنها قررت تنفيذ ما طلبه منها بلا تردد، فقالت لنور:

-" عندما طلبتُ منكِ البقاء خارج الغرفة حتى يدخل كريم غرفته للنوم، كنت اريد الاستفادة من تلك الحالة التي تحدث لكِ في معرفة أي معلومة قد تفيدنا، فثواني بسيطة تحدث فارق كبير وقد تغير مجرى حياتنا بأكملها، أما الآن فليس لدينا رفاهية انتظار حدوث شيء بالمصادفة، علينا التفكير في وسيلة نأخذ بها المفتاح من كريم قبل مغادرته المنزل ودون أن يلاحظ ذلك بالطبع، لن نستطيع دخول غرفته قبل استيقاظه فتلك مجازفة خطيرة قد ندفع ثمنها غالياً"

قاطعتها نور في صرامة:

-"أنا أعلم ماذا سنفعل!"

الجزء السابع

" سننتظر حتى يستيقظ وبعد أن ينتهي من ارتداء ملابسه وتوضيب حقيبته التي بالتأكيد سيضع فيها المفتاح، سيعود حتماً إلى غرفة الملابس ليلقي النظرة الأخيرة على مظهره ويعيد تصفيف شعره للمرة العاشرة قبل أن يغادر كما يفعل دوماً، في تلك الأثناء أقوم انا بأخذ المفتاح من الحقيبة**!**"

قالتها نور لسمية وهي تضع خطة سريعة لأخذ المفتاح من كريم قبل مغادرته**!**

****

في الصباح ظلت نور جالسةً في غرفة المعيشة تتظاهر بالانشغال في الحديث مع بناتها بينما بقيت سمية بداخل الغرفة حتى يتصرف كريم على طبيعته، سار كل شيء كما توقعته نور تماماً، ما ان خرج من غرفته متجهاً نحو غرفة الملابس ثانيةً، حتى تحركت هي نحو غرفته، وبيدان ترتجفان من فرط التوتر بحثت عن المفتاح بداخل الحقيبة حتى وجدته ووضعته في جيبها، وقبل أن تخطو مبتعدةً عن باب الغرفة انزلق العكاز من يدها فاختل توازنها وسقطت ارضاً، آلامٍ مبرحة اجتاحت جسدها لكنها نسيتها كلها دفعة واحدة حينما وجدت كريم على بُعد خطواتٍ منها يحدق فيها والمفتاح على الأرض بجوارها**!** هُيّئ لها أن قلبها قد توقف عن الخفقان لثواني لكنها هذه المرة دققت النظر في وجهه فسرعان ما انتبهت إلى اهتزازٍ طفيف في صورته، عمل عقلها بسرعته القصوى ولم تنتظر حتى تتلاشى صورة كريم من أمام عينيها بل انبطحت أرضاً بسرعة وهي تمد ذراعها عن آخره لتمسك بالمفتاح لكنه كان أبعد مما تخيلت، شعرت بالدماء تحتقن في وجهها، ثواني معدودة وسيكون كريم هنا ثم خطرت ببالها فكرة، أمسكت بالعكاز ومدت يدها وهي ممسكةٌ به عن آخرها ثم ضربت بطرفه المفتاح بكل ما أوتيت من قوه فتزحلق على الأرضية الملساء ليستقر تحت أحد الكراسي، لم يكن الوضع آمناً تماماً فلو نظر كريم جيداً سيراه بوضوح، اصفر وجهها حينما وجدته أمامها بالفعل**!**

لحسن الحظ أنها كانت قد أغلقت باب غرفته قبيل سقوطها مباشرةً، تفاجأ كريم حين رؤيتها على تلك الحالة، وقبل أن يتفوه بكلمة انخرطت نور في وصلة بكاءٍ شديد، لم

تعلم لماذا كانت تبكي تحديداً؟! هل من الخوف والارتباك أم من الآلام المبرحة التي تجتاح جسدها؟! لكن بكاءها أثار شفقة كريم عليها فانحنى يساعدها على النهوض دون أن ينبس ببنت شفة، ثم دخل إلى غرفته أخذ أغراضه وغادر المنزل على عجلة!

****

على الرغم من الألم الذي كانت تعاني منه نتيجة سقوطها على الأرض أثناء أخذ المفتاح، إلا أنها أصرت على الذهاب إلى البازار ورؤية ما يحدث هناك بعينيها، حذرتها سمية من مغبة ذلك، فلا أحد يعلم ما ستؤول إليه الأمور ويكفي ذهابها هي ويحيى، لكن نور أصرت على رأيها أياً كانت العواقب، فما كان من سمية إلا أن اتصلت بيحيى لتخبره بقدومهما.

وصلتا نور وسمية إلى حيث تقف سيارة يحي على بعد عدة أمتار من البازار، رحب بقدومهما وانضمتا إليه في متابعة ما يحدث بالداخل عبر شاشة هاتفه.

عند حديث ليلى عن العم يونس، امتقع وجه يحيى على نحوٍ لافت، حدقت فيه نور ذاهلة ولم تتردد ثانية واحدة في أن تسأله في إصرار:

-"ما حكاية العم يونس تلك؟! وما علاقتها بكل ما يحدث الآن؟!"

أخذ يحيى نفساً عميقاً، ثم أجابها بنبرةٍ يكسوها الضيق قائلاً:

-"يبدو أن ليلى قد استرقت السمع لحديثنا أنا ومازن ذلك اليوم! استغرقنا في الحديث ونسيت أنها لم تغادر في موعدها المعتاد، بل أنها لاتزال بالمخزن بعد أن طلبت منها توضيب الأغراض لم أنتبه سوى حين رؤيتها تخرج منه، لكني رجَّحت حينها عدم قدرتها على سماعنا من الدور السفلي!

العم يونس هو جار صديقي مازن، كان رجل عجوز يعيش بمفرده لم يرزقه الله بأبناء وقد توفيت زوجته منذ سنواتٍ طوال، ورث هذا البازار عن والده الذي ورثه بدوره عن جده، لكنه كان غريب الأطوار للغاية، لا يزوره أحد ولا يتحدث مع أحدٍ من جيرانه مطلقاً حتى انه كان يذهب إلى البازار في وقتٍ مبكر جداً في الصباح ويعود في وقتٍ متأخر للغاية كي لا يصادف أحد منهم، وكان لا يطيق مازن لمحاولاته المستمرة في التقرب منه والتي كان يفعلها في البداية بدافع الشفقة عليه،

لكن العم يونس كان يعتبرها تطفل وتدخل في شئونه، حتى بدأ يدور في ذهن مازن أن ذلك الرجل يخفي شيئاً لا يريد أن يعرفه أحد، وأخذت تلك الفكرة تسيطر عليه تدريجياً حتى قرر أن يراقبه، وبالفعل شرع في مراقبته وهنا كانت المفاجأة، رآه ذات صباح يغادر منزله وبحوزته شوالٌ مملوء يجره بصعوبة، تبعه مازن حتى وصل إلى البازار لكن العم يونس دخل وأغلق الباب خلفه جيداً، ومع واجهات البازار المعدنية المغلقة لم يستطع مازن معرفة ما حدث أو ما كان يحتويه ذلك الشوال، كاد الفضول يقتله فقرر عدم الاستسلام، وبقي على مقربةٍ منه حتى فُتح الباب وبدأ الزبائن بالدخول، تظاهر مازن بالدخول للشراء بعد أن حيا العم يونس وقصَّ عليه قصة مختلقة عن هدية وهمية يريد شراءها، ثم ظل يبحث في كل شبرٍ من البازار عن ذلك الشوال فلم يعثر له على أثر وعاد يجر أذيال الخيبة، لكن الأسئلة ظلت حائرة في ذهنه، حتى قرر تصديق احتمال أن يكون الشوال كان يحوي بعض الأغراض الخاصة بالبازار التي قام العم يونس برصها على الأرفف وانتهى الأمر، رغم عدم اقتناعه بالفكرة تماماً فأغراض البازار تأتي من ورش التصنيع في سيارات خاصة يتم نقلها إليه مباشرةً، لكنه حاول اسكات فضوله ورضي بالتفسير الذي توصل إليه.

لكن الأمور لم تنتهِ عند هذا الحد، فقد استمر بمراقبته وبعد عدة أيام رآه وهو عائد إلى المنزل في الساعات الأولى من الصباح وهو يجر نفس الشِّوال ممتلئ عن آخره. لم يغادر العم يونس منزله في اليوم التالي، حاول مازن اختلاق أي سبب لزيارته لكنه لم يعطه الفرصة ولم يفتح له الباب من الأساس، وفي اليوم الذي يليه رآه مازن يغادر منزله ومعه الشِّوال متجهاً إلى البازار، ومثل ما حدث في المرة السابقة أغلق الباب لفترة قبل أن يفتحه لاستقبال الزبائن، استغل مازن انشغال العم يونس مع وصول سيارة تحمل بعض الأغراض التي خرج لمعاينتها قبل استلامها، وتسلل إلى داخل البازار، قام بتشغيل كاميرا هاتفه وتسجيل فيديو يصور فيه البازار من الداخل ليراجعه جيداً عند عودته إلى المنزل، وأثناء ذلك لاحظ أن باب المخزن المفتوح، فنزل إليه بلا تردد لكن الأمور تعقدت بنزول بعض العمال بعده بقليل يحملون كراتين البضائع لوضعها فيه، اختبأ مازن خلف إحداها التي كانت موجودة مسبقاً، ومرَّ الأمر بسلام حتى غادروا، لكن العم يونس أغلق باب المخزن بالمفتاح، وبقي مازن حبيساً بداخله طيلة اليوم، فقرر اشغال وقته في البحث عن الشوال،

وبالفعل لم يترك شبراً لم يبحث فيه ولا كرتونه لم يفتحها، لكنه لم يعثر على أي أثرٍ له، ثم فجأةً فُتح باب المخزن فاختبأ مسرعاً خلف كرتونه ضخمة مستغلاً ضعف الإضاءة به، نزل العم يونس إلى المخزن فتعجب حين رأى مصباح النور مضاء لكنه ظن أن العمال قد نسوا إطفاءه قبل مغادرتهم، تحرك بخطواته البطيئة نحو إحدى الكراتين التي وصلت اليوم، وأفرغ محتوياتها على الأرض ثم جلس في هدوء يتأملها ويقوم بتلميعها قطعة قطعة، شعر مازن بالملل وتسلل النعاس إلى عينيه وبدا له أن تلك الحال التي عليها العم يونس ستستمر إلى الأبد، فخطرت بباله فكرة، كان قابس النور على بعد خطواتٍ قلائل منه، فتسلل على أطراف أصابعه ثم أغلقه وتابع صعوده إلى باب المخزن مستغلاً ارتباك العم يونس من الظلام المفاجئ الذي أحاط به للتو، ركض باتجاه باب البازار ليغادره بسرعة لكنه تجمد مكانه حينما رأى الشوال عند ركن الجدار على يمينه، ألقى نظرةً خاطفة نحو باب المخزن ليتأكد من عدم خروج العم يونس ثم اتجه راكضاً باتجاه الشوال الذي كان فارغاً إلا من آنيةً ذهبية تلمع ببريقٍ أخاذ، ليست كسائر أغراض البازار بل تبدو وكأنها قطعة أثرية أصلية ثمينة، انتزعه من ذهوله وصلةٌ من السعال انتابت العم يونس تنذر بأنه على وشك الخروج من المخزن، لم يكن أمام مازن خيار سوى مغادرة البازار على الفور، وقد استقر في يقينه أن ذلك الرجل يخفي كنزاً ثميناً في مكانٍ ما بداخل هذا البازار!

لم تمضِ أيام حتى اشتد المرض على العم يونس ومات وحيداً في شقته دون أن يشعر به أحد سوى مازن، الذي لاحظ عدم مغادرته المنزل لثلاثة أيامٍ متتالية على غير العادة فاجتمع مع الجيران الذين اتخذوا قرارهم بإبلاغ الشرطة ليفتحوا باب منزله فوجدوه ميتاً في سريره.

لم يكن له أقرباء سوى ابن أخيه المسافر والذي لم يزره منذ سنواتٍ طوال، لكنه حضر لدفنه واستلام ميراثه منه وهو البازار وما بداخله من أغراض، تقرب منه مازن وحاول إيهامه بأنه كان من المقربين للعم يونس ليستدرجه في الحديث ويعلم ما ينوي فعله بالبازار، وحينما أفصح له عن رغبته العاجلة في بيعه للحصول على النقود ثم العودة من حيث أتى، وجد مازن نفسه يخبره بأن لديه زبون جاهز للشراء، وطلب منه أن يتهاون في السعر قليلاً مقابل سرعة إنهاء البيع، ثم أتى إليَّ ليخبرني عن الأمر من بدايته، لكنه اشترط علي أن يكون له ثلث ما سأجده، وقد نجح تماماً

في إثارة فضولي ورغبتي في شراء ذلك البازار والحصول على ما يخفيه العم يونس والذي يبدو مما قاله أنه ثروة لا يستهان بها، وبالفعل اقترضت المال من كريم وأتممت الشراء، وبدأت البحث منذ اليوم الأول لكني لم أعثر على شيء حتى تسلل اليأس إلى قلبي، إلى أن عثرت على ذلك المفتاح بالمصادفة بداخل درج سري ضغطت عليه دون أن أشعر فانفتح على الفور، أيقنت حينها أن مازن على حق، وأن العم يونس يخفي شيئاً ثميناً داخل البازار بلا شك!"

ظلَّت نور تحدق في يحيى مدهوشةً مما قاله بينما رمقته سمية بنظرات الضجر، فتلك الثروة إن وجدت حقاً هي جزء من ميراث ابن أخيه لا يحق لهما إخفاء أمرها عنه وأخذها دون وجه حق، لكنها كتمت ضيقها بداخلها وتابع ثلاثتهم مشاهدة ما يجري بالداخل عبر شاشة هاتف يحيى، حتى المُشَادَّة الأخيرة بين كريم وليلى بعد أن عثرا على باب الممر السري، حينها برقت عينا يحيى وصاح قائلاً:

-"لقد حان الوقت!"

قالها وانطلق راكضاً نحو البازار تتبعانه كل من نور وسمية.

****

"المفتاح معي!"

قالتها نور لتحتقن الدماء في وجه كريم وتتطاير من عينيه شرارات الغضب الشديد فأمسك بالمطرقة الحديدية وانطلق نحوها بكل الغل الذي يشعر به نحوها في تلك اللحظة، صرخت نور في فزع وتراجعت إلى الخلف بحركة حادة لتتفادى ضربته التي هوى بها عليها، فسقطت ارضاً قبل أن تتلاشى صورته من أمامها، حدق فيها كل من يحيى وسمية ففهمت الأخيرة ما سيحدث خاصةً مع تلك الخطوات التي خطاها كريم باتجاههم وفي يده المطرقة، فتحركت بسرعة لتحول بينه وبين نور الراقدة على الأرض، ليهوي بالمطرقة على رأس سمية!

تعالت صرخات نور في هلع وهي ترى شلال من الدماء ينفجر من رأس سمية الفاقدة للوعي بجوارها ويحيى يحاول جاهداً وقف النزيف بيده وعقله يفكر بأقصى سرعة في وسيلة لإنقاذها، بينما استغل كريم الموقف وأخذ المفتاح الذي تدحرج بعيداً أثناء سقوط نور واتجه نحو الباب السري، وضع المفتاح في قفله ثم فتحه وفتح

الباب الذي كشف عن سلم سارع بالنزول عليه بضع سلالم بعدها حاول إغلاق الباب خلفه حتى لا يتبعه أحد، لكن قدم ليلى منعته!

ظل يحاول دفع الباب للأعلى بكل قوته ليغلقه بينما هي تدفعه من الناحية المقابلة بكل ما أوتيت من قوةٍ أيضاً، لكنه لم يستطع الصمود طويلاً فانزلقت قدمه وسقط إلى قاعه لتدوّي صرخته في أرجاء البازار، لم تكترث ليلى لما أصابه ونزلت إلى منتصف السلم الذي كان يتوسط الممر تماماً بعد أن أضاءت قابس النور الملاصق للباب من الداخل، تجمدت مكانها بينما كفَّ كريم عن الصراخ وقد تناسى ألمه لدقائق مع ذلك المشهد الساحر الذي ظهر أمامهما!

أرفف صغيره تملأ جدران الممر من النواحي الأربعة، تمتد من الأعلى إلى الأسفل، مملوءة عن آخرها بتشكيلة مذهلة من الأواني الذهبية والفضية التي تتلألأ مع الضوء الساقط عليها من المصباح في منظرٍ خلاَّب وكأنه حلم، انتزعهما من تلك الحالة صوت سيارة الإسعاف التي تلتها مباشرة وصول الشرطة، لتنقلب الأمور رأساً على عقب، ويُكشف أمر الممر وما يحتويه للجميع!

****

تم القبض على كريم بتهمة الشروع في قتل سمية التي ظلت بين الحياة والموت لعدة أيام قبل أن تتجاوز مرحلة الخطر وتستقر حالتها.

وتم القبض على يحيى وليلي بتهمة الاتجار في الآثار بعد أن قامت الشرطة بإبلاغ مباحث الآثار للتحقيق فيما وجدوه بالبازار، والتي قامت بدورها بمعاينة كل تلك الأواني لتصدر تقريرها النهائي بكونها مشغولات قديمة متقنة الصنع للغاية، ولكنها ليست أثرية!

وبعد أن أخبر يحيى ضابط التحقيق عن قصة العم يونس، رغم أنه لم يصدقه في البداية لكن بعد صدور التقرير النهائي للمُعاينة أخبره بأنه قد يكون ورثها عن والده ومن قبله جده وقرر الاحتفاظ بها وعدم بيعها لأسبابٍ تخصه، يمكن أنه قد اعتبرها مؤنسه الوحيد في هذه الحياة وكل ما تبقى له من الماضي، وداوم على تلميعها والاعتناء بها للإبقاء عليها في حالة جيدة دوماً، اقتنع يحيى بكلامه وقد وجد فيه

تفسيرٍ منطقي لأمر ذلك الشوال الممتلئ الذي كان يخرج به من البازار ثم يعيده إليه ثانيةً.

تمَّ الإفراج عن كلٍ من يحيى وليلى، وبالطبع كان أول ما فعله يحيى هو طردها من العمل، بينما حُكِم على كريم بالسجن لسنوات، وخرجت سمية من المستشفى في حالة جيدة، بعدها طلبت نور الطلاق من كريم عن قناعة تامة وبلا تردد.

****

"نور!...نور!"

فتحت نور عينيها وهي تجاهد لرفع جفونها الثقيلة التي تأبى الحراك، لتجد كريم بجوارها يبتسم في صعوبة وهو يقاوم دموعه التي تتلألأ في عينيه قائلاً:

-"حمداً لله على سلامتك! سامحيني أرجوك لم أقصد حرفاً مما قلته!"

زوت نور بين حاجبيها وهي تعتصر عقلها لتفهم ما الذي يجري؟! متى خرج كريم من السجن؟!

ثم لفت انتباهها ذلك الأنبوب المتصل بذراعها، لتدرك دفعةً واحدة أنها راقدة على سرير بالمستشفى، سألته بصوتٍ مجهد يخرج من حلقها بصعوبةٍ بالغة:

-"أين أنا؟! ما الذي حدث؟!"

أجابها كريم في أسفٍ ممزوج بالخجل:

-"أنتِ في المستشفى! لقد تعرضتِ لحادث خطير منذ عشرة أيام سبَّب دخولك في غيبوبة، لكنك الآن بخيرٍ والحمد لله، وقد تجاوزت المرحلة الحرجة وأصبحت الأمور على خير ما يرام وستخرجين قريباً بإذن الله!"

قطع حديثهما صوت طرقاتٍ على باب الغرفة، ليأذن كريم للطارق بالدخول، التفتت نور نحو الباب في تهالك لكنها اعتدلت فجأة واتسعت عيناها في ذهول وهي تراقب يحيى يدخل من الباب يحمل في يده صندوق من الأرابيسك قائلاً:

-"حمداً لله على سلامتك، لقد أحضرتُ لكِ هدية طلبها مني كريم أعددتها لكِ خصيصاً وأشرفت على تنفيذها مساعدتي ليلى!"

التفتت نور نحو كريم بحركة حادة لا إرادية ولم تشعر سوى بيدها وهي تجذبه من قميصه صائحةً:

-"على جثتي!!"

تمت

.....

الكاتبة مها سيد عبد الرحمن كاتبة رواية "مملكة سيڤارا"

الصفحة الرسمية للكاتبة:

https://www.facebook.com/Maha-Sayed-Abdelrahman-مها-سيد-عبد-الرحمن-117973116713609/